

اسم المادة: سورة العاديات

من سلسلة: تفسير جزء عمّ

لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم

Way2allah.com

way2allahcom

إنتاج فريق التفريغ بشبكة الطريق إلى الله

اسم المادة: سورة العاديات
من سلسلة: تفسير جزء عمّ
لفضيلة الشيخ: د. أحمد عبد المنعم



السلام عليكم ورحمة الله وبركاته

الحمد لله وحده والصلاة والسلام على من لا نبي بعده محمد –صلى الله عليه وسلم–، بإذن الله –عز وجل– معنا اليوم سورة أيضًا من سورُ جزء عمَّ؛ سورة العاديات، بعض التفاسير تكتبها سورة والعاديات، سواء بإثبات الواو أو بحذفها.

هذه السورة؛ سورة العاديات كثير من الأطفال يحفظونها لكنَّ فيها ألفاظ بيشعر كثير من الناس بصعوبة سواء في نطقها أو في معناها، وإن كانت هذه السورة العظيمة تحتوي على معاني عظيمة جدًا أُفرِدَتْ بالتصنيف، وكثير من المفسرين أَفردوا فيها في الكلام؛ لإن هي ممكن يتم تناولها من أكثر من مجال سواء من تحليل ألفاظها أو موضوعها أو حتى نهايات الآيات ونَسَق الآيات.

فلما نيجي نقرأ في هذه السورة بسم الله الرحمن الرحيم "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا * فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا" تجد إن خمس آيات متتاليات معطوفة كلها بالفاء ورا بعضها، ونهاية كل آية منها على صيغة فَعْلا: وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا، خمس آيات متتاليات تشعر بسرعة، وكأنك مش قادر تاخد نفسك وانت بتقرا الخمس آيات، بعد ما بتنتهي من الخمس آيات فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا * فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا"،

يبدأ وقع الآيات بيتغير: "إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ * وَإِنَّهُ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ * وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" تجد فيه مد وصوتك بيمتد وكأن المعنى تغير، بل وكأن واقع الآيات تغير، وكأن الخمس آيات دول واقع، وده واقع تاني تمامًا مختلف عنه.

ثم في صيغة التعنيف والتهديد والذم: "أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ".

ألفاظ شديدة، ألفاظ فيها معاني التراب، والنقع، والبعثرة، والتحصيل؛ إخراج ما في الصدور بقوة، كإخراج البذرة من قشرتها بقوة، زي ما هنتناول هذه المعاني. سورة تحتوي على معانٍ عديدة.

سورة العاديات مكية أم مدنية؟

بادئ ذي بدءٍ، المفسرين اختلفوا هل السورة مكية أو سورة مدنية؟

غالب المفسرين على أن السورة مكية؛ قصر الآيات، ووقعها السريع، وذم الإنسان على العموم "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" العصر:٢، و"إِنَّ الْإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعًا" المعارج:١٩، فذم الإنسان على وجه العموم غالباً –مش دايمًا– غالبًا يأتي في السور المكية ذم عموم الإنسان، لأن دي صفات في كل إنسان.

بعض المفسرين قلة قالوا إن هي سورة مدنية نزلت في المدينة، ورجح ده الإمام ابن عاشور –وهو من المتأخرين في تفسير التحرير والتنوير– رجحه على سبب النزول وإن كان سنده ضعيف لكن قال يتقوّى بشواهد معينة تاريخية:

١– أن كان فيه سرية بعثها النبي –صلى الله عليه وسلم– تجاهد في سبيل الله، فتأخرت، فاغتمّ لذلك رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فنزلت هذه الآيات؛ أي تبشره بانتصار هؤلاء وبأن هؤلاء أدّوا ما عليهم وجاهدوا في سبيل الله. فنزلت هذه السورة "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا".

٢– ولو قلنا زي ما هنيجي نتكلم في الخلاف والعاديات؛ إن "وَالْعَادِيَاتِ" أي الخيل التي تجاهد في سبيل الله، فلم يكن في مكة خيل تجاهد في سبيل الله، فرجّح أن السورة مدنية لأن السورة تتكلم عن الخيل التي تجاهد في سبيل الله وهذه لم تكن إلا في المدينة. فرجح أنها مدنية.

لكن كما قلت: غالب المفسرين على أن السورة مكية.

نبدأ نفسر الآيات:

بسم الله الرحمن الرحيم "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا"

فيه سور في القرآن لها بدايات مختلفة؛ يعني فيه سورة تبدأ تثير الذهن في التساؤل، زي السور التي بتبدأ بالحروف المقطعة، الإنسان يسمع ألم، وحم، وعسق؛ يبدأ ذهنه يتشد، إيه معنى الحروف دي؟ إيه علاقتها؟ فسور تشد الذهن عن طريق الحروف المقطعة.

فيه سور بتبدأ مباشرةً كأن مفيش مقدمات زي السورة دي، بدأت بخيل تجاهد وتعدو في سبيل الله، بتنطلق. زي سورة محمد –صلى الله عليه وسلم–: "الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ" محمد:١، لما تيجي تقرأ آية زي دي تتوقع أنها في منتصف سورة؛ إن فيه سورة بدأت بحروف مقطّعة، ثم الكلام عن رحمة الله، ثم الكلام إن فيه ناس هتصد عن السبيل، ثم أن هؤلاء يجب أن نقاتلهم، لكن تُفاجأ إن السورة ما بدأتش كده، سورة محمد –صلى الله عليه وسلم– اللي هي سورة القتال–: "الَّذِينَ كَفَرُوا وَصَدُّوا عَن سَبِيلِ اللَّهِ أَضَلَّ أَعْمَالَهُمْ * وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَىٰ مُحَمَّدٍ" محمد:١-٢، السورة دخلت في الموضوع مباشرةً.

من لطائف أصلًا تسمية "سورة"؛ قال بعض أهل العلم ليه السورة سميت بسورة؟

قيل لأن كل مجموعة آيات في وحدة معينة الشرع سماها "سورة"، ووُضِعَت هذا الوضع توقيفي من النبي –صلى الله عليه وسلم– ترتيب الآيات ده بأمر من النبي –صلى الله عليه وسلم– وإنها تبقى وحدة واحدة كده، ويُفصل بينها وبين كل سورة بالبسملة بأمر من النبي –صلى الله عليه وسلم–.

ليه وحدة الآيات المجمعة دي اتسمت سورة؟

وكأن هذه مجموعة الآيات أحيطت بسور، وكأن هي حديقة غنّاء مليئة بالثمار والأزهار والفاكهة والثمار المُستطابة، فكأن كل سورة عبارة عن حديقة غنّاء حولها سور يجب عليك أن تتسور –أي تصعد– هذا السور حتى تشاهد ما فيها، طول ما انت بعيد عن السورة أنت لا تبصر ما فيها من جمال، لا بد أن تدخل وتمشي وتتعمق داخل الحديقة حتى ترى ما فيها من جمال. كذلك هذه السورة.

فتخيل احنا كده بنستفتح هذه السورة، ونفتح باب السور وبنحاول الدخول، أول لما بتفتح السور تُفاجأ إن السورة بدأت بمشهد صوتي "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا".





قلنا من قبل؛ أحيانا المفسرين بيختلفوا في الأقسام بسبب أن الله –جل وعلا– يذكر الصفة ولا يذكر الموصوف، ذكر الله –جل وعلا– هنا صفة العَدْو –أي الجري– لكن لم يخبرنا الله –عز وجل– ما الشيء الذي يجري؟ مين اللي بيجري؟ لذلك اختلفوا هل هي الإبل في الحج؟ وألا الخيل في الجهاد؟ وإن كان غالب المفسرين على أنها الخيل في الجهاد.

فأقسم الله –عز وجل– بخيل تجري؛ تعدو، وذكر الله –عز وجل– من هذه الخيل؛ الصوت فقال: "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا"، صوت يصدر من الخيل أثناء الجري، وهنتكلم لماذا أُختير الضبح تحديداً، وهنتكلم عن المعنى التفصيلي للضبح، لكن عايزك تتخيل معايا؛ انت لسه بتفتح بتقول بسم الله الرحمن الرحيم، تفتح كده السورة؛ تُفاجأ بصوت خيل بتجري، لا انت عارف إيه اللي بيحصل؟ ولا رايحة فين؟ ولسه المشهد ما بقاش مشهد ضوئي، لسه مشهد صوتي.

وده أغلب في الإثارة، حتى لما تيجي في مقاطع الفيديو أو الأفلام عايز تبدأ بإثارة، تلاقي الأول حتة ضلمة وصوت شغال، فيستثيرك، فتبدأ تركز، فتسمع أصوات مثلًا معينة، ولو أصوات مش فهومة كأصوات حيوانات أو أصوات مؤثرة معينة، يبدأ يكون المشهد أكثر إثارة.

فتخيل معايا؛ الصورة ضلمة، وأصوات بتظهر، صوت خيل بتجري، شوية يبدأ يظهر نور طفيف يظهر في الصورة المرسومة قدامنا؛ الضوء يظهر: "فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا"، الموريات: الخيل وهي بتجري اصطكاك الحوافر في الحجر بيطلع شرارة، وهنتكلم برضه بالتفصيل، لكن الشاهد أنه حتى مش ضوء نور الصورة، لأ، شرارة كده بتظهر.

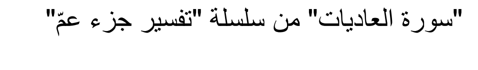
عايزك تتخيل كده معايا المشهد؛ الدنيا ضلمة وفجأة سمعت صوت خيل بتجري، انت مش عارف هي رايحة فين والا إيه اللي بيحصل؟ وبعدين قعدت تركز مستني نفسك الدنيا تنور، فوجئت بشرارة صغيرة عمّالة تظهر من كل مكان، شرارات كتير؛ شرارة تظهر وتنطفئ، شرارة تظهر وتنطفئ، المكان كله امتلأ، كذلك هذه الشرارة بالرغم من قوتها؛ لم تتوقف الخيل عن الجري ومستمرة.

تُفاجأ في الآية الثالثة: "فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا" بدأت الشمس تطلع، عايزك تتخيل معايا المشهد، الشمس بتطلع وظلام الصورة بيروح، وبدأت تشوف الخيل، واكتشف أنها رايحة تُغير، تجاهد في سبيل الله على الأعداء. شوية المشهد يرجع تاني بس مش مضلم؛ يرجع تاني وفيه ضباب بسبب التراب اللي حصل: "فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا"، وبعد كده التراب طلع ماشوفتش اللي بيحصل جوه: "فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا" هنشوف إيه اللي هيحصل.

إذًا سورة مليئة بالإثارة كجو المعارك وجو الحروب، كأن السورة بتاخذك تعيشك هذا المشهد، وده من إعجاز القرآن؛ إن هذه الكلمات البسيطة يُحَمَّل عليها معاني ضخمة، معاني ضوئية، ومعاني مرئية، ومعاني صوتية كأن الإنسان عايش هذه المشاهد. وهذا كلام الله –عز وجل– المعجز الذي لا يستطيعه بشر.

بدأت السورة؛ يقسم الله –عز وجل– بالعاديات؛ جمع –إنهم متجمعين– الخيل بتعدو وتجري، وزي ما هنشوف هذا الجري للجهاد في سبيل الله.

"ضَبْحًا" الضبح: هو صوت الخيل اللي يظهر عند الجري، ورُوي عن ابن عباس: إن ده مش موجود غير في الخيل والثعالب وبعض الحيوانات التي تجري مسرعة جدًا، وقيل إن أصل صوت الخيل –سواء الصهيل أو الحمحمة– ده بيكون عند الوقوف أو السير البسيط، لكن لما الخيل بتجري بسرعة رهيبة جدًا تحتاج أن تُغيِّر في مجرى النفس، ليه؟ أنت طول ما انت قاعد بتاخذ نَفَسك عادي خالص، لما تيجي تجري فنَفَسك هيوقفك فبتحتاج تاخد نفسك بسرعة عشان ما تقفش، يعني انت بتعمل تغييرات في جسمك حتى لا تتوقف. كذلك الخيل بيحصل تغيير في مجرى النفس بطريقة معينة فيدخل الهواء ويخرج بسرعة، حتى إن "ابن عباس" في رواية عنه –ذكرها القرطبي وغيره– فسّر معنى "ضبحًا" فقال: "هحْ هحْ"، هذا الصوت يظهر منها أثناء الجري السريع فكأن الخيل لا تريد أن تتوقف حتى لتأخذ أنفاسها.



شوف همة وسرعة الخيل فما بالك بمن يجلس عليها! وطبعًا القسم بالخيل المقصود منه الفارس الذي يركب على هذه الخيل، الخيل لا تجري بمفردها لكن فيه فارس عليها لا يجعلها تتوقف، وهي أيضًا تجاهد في سبيل الله.

فبدأت السورة بمشهد الخيل المسرعة؛ مشهد صوتي، صوت خيل لا تريد أن تتوقف ولو حتى بسبب النفس، وزي ما قلنا الصوت ده لا يكون إلا عند شدة الجري وشدة السرعة، فأقسم الله –عز وجل– بالخيل –على رأي كثير من المفسرين وإن كان بعضهم قال الإبل في الحج– التي تنطلق وتجري مسرعة ويظهر منها هذا الصوت "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا". الصوت الذي يظهر بسبب شدة العَدْو أي شدة الجري.

معنى إن ربنا –سبحانه وتعالى– يُقسم بها إن لها شأن ولها أمر عظيم.

هذه الخيل –كما سنعلم– التي انطلقت لتجاهد في سبيل الله لها أمر عظيم، وبالتالي ينطبق عليها كل عدة ووسيلة تُستعمل لنصرة دين الله –عز وجل– وللجهاد في سبيل الله.

فكلما استطاع الإنسان أن يُسخّر أدواته لنصرة دين الله –عز وجل– ارتفعت هذه الأدوات ونالت مرتبة الشرف لنصرة الدين.

سواء عندك سيارة، سواء عندك أي شيء تسخره لنصرة هذا الدين، هذا ينال الشرف ويكون أمر عظيم عند الله –عز وجل–. وهنتكلم في مسألة الدنيا التي تُسَخَّر لنصرة الدين، الناس بتسأل: أنا عندي حاجات في الدنيا، هل طول ما عندي دنيا آخد ذنوب؟ والا طول ما عندي دنيا آخد ثواب؟ والا فيه شروط معينة؟

هنتكلم إزاي النبي –صلى الله عليه وسلم– قسم الدنيا أو الخيل هنا تحديدًا إلى ثلاثة أنواع، لإن القَسَم هنا مش بالخيل؛ ربنا ماقالش "والخيل"، أقسم الله بإيه؟ بالخيل التي تعدو وتجاهد، يعني مش مجرد وجود الحاجة في حد ذاتها كويس، لأ، فيم ستُستخدم؟ يعني ربنا لم يقُل: والخيل، لأ، ده الخيل دي كما قال كثير من المفسرين، الخيل الجميلة دي هي اللي قطع أقدامها وأعناقها سيدنا سليمان في سورة ص لما تشاغل بها عن ذكر الله –سبحانه وتعالى– حتى توارت بالحجاب، قال: "رُدُّوهَا عَلَيَّ ۖ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ" ص:٣٣.

يبقى الخيل مش في حد ذاتها هي اللي مكرمة أو مشرفة لكن حسب استعمالها، والإنسان ينال الأجر أو ينال الوزر على حسب استعمال الخيل.

فأقسم الله –عز وجل– بالخيل التي تجري فقال: "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا" ثم فـ؛ فاء السرعة بمعنى إنه ما توقفش، وده مهم جدًا بالنسبة للإنسان، "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا" فالإنسان الطائع لا بد أن ينتقل من طاعة إلى طاعة. "إنَّهم كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيْرَاتِ" الأنبياء:٩٠، ما قالش إيه هي الخيرات، في الخَيْرَاتِ كأن الخيرات محيطة به، هو لسه بيصلي وعارف إنه بعد الصلاة هينطلق يزور مريض، وهو عند المريض بيجهز نفسه إنه يروح .. هو من خير إلى خير، لا يخرج من الخيرات؛ لا ينفك من الخيرات حتى يسارع إليها، بل هو داخل في مسمى الخيرات في كل وقت من أوقاته. "إنَّهم كانُوا يُسارِعُونَ في الخَيْرَاتِ ويَدْعُونَنا رَغَبًا ورَهَبًا"

فكذلك هنا: "وَالْعَادِيَاتِ – فَالْمُورِيَاتِ – فَالْمُغِيرَاتِ – فَأَثَرْنَ – فَوَسَطْنَ" من عوامل الثبات استمرار الطاعة بعد الطاعة، قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "صلاةٌ في إثْرِ صلاةٍ لا لَغْوَ بينهُما كِتابٌ في عِلِّيّينَ"[1]، إن الإنسان يمارس الطاعة بعد الطاعة حتى لا يفتر وحتى لا يتوقف، واتكلمنا عن المعنى ده في سورة الشرح: "فَإِذَا فَرَغْتَ فَانصَبْ" الشرح:٧، وإن فترة الفراغ لا ينبغي أن تمر على المسلم العامل لدين الله –عز وجل–.

[1] صحيح الجامع



"فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا":

– "القدح": هو اصطكاك شيء بشيء فيخرج الشرارة، لذلك بيقولوا: "قدح" خبط حاجتين، "فأورى" يعني طلع النار، موريات: أي أظهرت شرارة، أظهرت النار. "أَفَرَأَيْتُمُ النَّارَ الَّتِي تُورُونَ" الواقعة:٧١، توقدون.

"فَالْمُورِيَاتِ" أي يخرج منها ضوء، لذلك العرب يقولون "قدح فأورى" أو " قدح فأصلد" أصلد يعني ماطلعتش شرارة، إما خبط وطلع شرارة أو خبط وماطلعتش شرارة، لذلك الولاعة اسمها القدَّاحة، يعني بيحصل اصطكاك فبيطلع شرارة.

"فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا":

– الموريات: أي الخيل يتسبب عنها ظهور شرارة، جزء من النار، حتى بيسموها نار الحُباحِب لأنها شرارة خفيفة. "الحُباحب": كان رجل بخيل جدًا جدًا فيجي بالليل، وكان العرب اللي مشهور بالكرم، يولع نار عظيمة لما ييجي يطبخ ويجيب الأواني العظيمة وساعة الطهي يولع نار عظيمة فكل اللي معدي يشوف دخان النار فيعرف إن فيه هنا طعام، فمن عادة العرب إنه كان يعمل نار عظيمة حتى لو الأكل اللي هيطبخه قليل، بحيث كل اللي يعدي يشوف النار عظيمة فكأنها دعوة إلى الطعام.

فكان الحباحب يستنى بالليل جدًا ويولع نار بسيطة جدًا جدًا زي الشرارة عشان ماحدش ييجي ياكل، فبيسموا أي نار صغيرة أو شرارة صغيرة بيسموها "نار الحباحب" كأنها نار خفيفة جدًا.

الشاهد، "فَالْمُورِيَاتِ": اسم فاعل أي التي يتسبب عنها ظهور النار، و"قَدْحًا" أي يظهر من أرجل الخيل شرارة بسبب إن أرجل الخيل بتصطدم بالصخر أثناء الانطلاق فتخرج الشرارة، وكأن هذا الاصطدام اللي يحدث وهذه العوائق من الحجارة والصخر، وهذه المشاكل من ظهور الشرارة، هذه لم تمنع الخيل من الانطلاق، ولم تمنع الفارس من الانطلاق.

وظهور الشرارة يدل إن المشهد ليلي والا نهاري؟ ليلي، الشرارة تظهر أكثر بالليل، فإذاً كأن هذه الخيل ظلت تنطلق طوال الليل، لغاية لما تيجي الآية ٣ "فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا" فأخيرًا ظهر النهار، فبدأ المشهد بصوت ثم بعض الضوء ظهر يبين لنا إن ده يحدث في قمة الظلام وقمة الليل.

إذًا هذه الخيل تنطلق لا يمنعها النَّفَس، لا يمنعها الظلام، لا يمنعها الصخر، لا يمنعها الشرارة، كل هذه العوائق لا تمنع الإنسان من الانطلاق.

لا بد من وجود عوائق

إذًا في مسيرك لنصرة دين الله –عز وجل– لا بد من وجود عوائق؛ سواء داخلية زي أخد النَّفَس، أو عوائق خارجية زي الصخر، أو ما يحدث من الاحتكاك زي الشرارة، هذه عوائق لابد أن تواجه أي إنسان يريد أن ينطلق لنصرة الدين، من يتوقف عند أي عائق لن يصل، لن يكمل مسيرهُ، "فَلَا اقْتَحَمَ الْعَقَبَةَ" البلد:١١، لابد من عقبات، والحل معها الاقتحام وليس التوقف.

"أَفَرَأَيْتَ الَّذِي تَوَلَّىٰ * وَأَعْطَىٰ قَلِيلًا وَأَكْدَىٰ" النجم٣٣:٣٤، "أَكْدَىٰ": أي وجد كُدْية –صخرة عظيمة– فرجع؛ لابد من مقاومة هذه الكُدْية، لا بد من اقتحام العقبات، فهذه الخيل وهؤلاء الفرسان انطلقوا، "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا" إلى أين كانوا يتجهون؟ إنهم يُغِيرون في سبيل الله على الأعداء.

"فَالْمُغِيرَاتِ" أيضًا بالفاء؛ يعني مش لما نوصل نريح تلات أيام وبعدين نغير في سبيل الله، لا، متواصل. "وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا".

العجيب طالما التلات آيات دول بتصور لنا رحلة خروج الخيل للجهاد في سبيل الله، كان المتوقع إن المشهد الأول: إن الخيل واقفة وبعدين الفارس يركب، وبعدين يعدو –يعني يجري– وبعدين أثناء الجري يحصل الاحتكاك فتخرج شرارة، وبعدين آخر الوصول؛ الإغارة في سبيل الله، وبعدين مشهد الغبار وبعدين "فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا"، والمشهد اللي كان متوقع الأخير سواء النصر أو القتل أو الهزيمة؛ إيه اللي حصل في الآخر.

العجيب إن الخمس آيات كأن كان فيه مشهد قبل كده اللي هو مشهد الاستعداد للقتال، لسه الفارس بيركب على الخيل وبينطلق، ومشهد النهاية اللي هو النصر أو القتل أو الشهادة؛ إيه اللي حصل؟ مشهد النهاية لم يُذكر ومشهد البداية لم يُذكر.

مشهد النهاية لم يُذكر هنقول ليه لما نيجي نشرح الآية الخامسة.

طيب مشهد البداية لم يُذكر ليه؟

كأن لابد للإنسان أن يكون في هذه الحالة دائمًا، أنه على طول بيجري، فكرة إنه يروح وينزل من على الخيل ويربط الخيل ويستنى منادي، ده مش موجود عند العامل لدين الله والمجاهد، هو بيخرج على طول من غزوة لغزوة، ومن سرية إلى سرية، قال النبي –صلى الله عليه وسلم– في صحيح مسلم: "مِنْ خَيْرِ مَعاشِ النَّاسِ لهمْ، رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللهِ" على طول ممسك بعنان فرسه في سبيل الله يطير على متنه –مش قاعد–، لإن زي ما اتكلمنا في مسألة الفراغ إنه مُقعِد، إن كل ما فترات الفراغ بتطول على الإنسان كل ما الكسل بيزيد.

عارف المثل العامي المشهور اللي بيقول لك انت بتنام كثير يقول لك: "تقاوي النوم نوم"، تقاوي: اللي بيغذي، معنى المثل: كل ما تنام أكثر هتنام أكثر، مش كل ما تنام أكثر هتصحى أكثر! لا، كل ما تنام عشر ساعات هتلاقيك عايز تنام اتناشر ساعة، كل ما تقلل في النوم هيبقى عندك يقظة أكتر.

كذلك كل ما بتطول فترات الفراغ؛ اللي بتظن أنها أوقات راحة عشان تشتغل، لا، بالعكس انت بتستمرئ الوضع، واتكلمنا في سورة الشرح: اللي بيطول عليه فترات الراحة يصعب عليه القيام مرة أخرى.

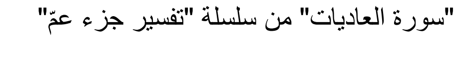
فهنا بدأت بمشهد الجري، والجري أسهل مشهد لتغيير الاتجاه، وللحركة والانتقال، المستعد دائمًا، إنما القاعد يصعب عليه أخذ القرار إنه يقوم ويلبي النداء، ويركب الخيل ويستعد، إنما اللي على طول على المتن كما قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "رَجُلٌ مُمْسِكٌ عِنانَ فَرَسِهِ في سَبيلِ اللهِ، يَطِيرُ علَى مَتْنِهِ، كُلَّما سَمِعَ هَيْعَةً، أوْ فَزْعَةً طارَ عليه، يَبْتَغِي القَتْلَ والْمَوْتَ مَظانَّهُ" ليه؟ لأنه مستعد دائماً.

فالعجيب أن السورة ما بدأتش بمشهد الاستعداد أو مشهد ركوب الخيل، لأ، جابت مشهد الجري، المنطلق، العربية وهي واقفة يصعب أن تحركها، العربية وهي ماشية يسهل أنك انت تغير اتجاهها، تزود السرعة، فكذلك مشهد الجري ده مهم إن يكون ده دائماً في حياة الإنسان.

والعجيب أن هذه السورة جاءت بعد سورة (الزلزلة) والكلام عن مثقال الذرة من الخير، وكأن الإنسان حتى يصل إلى مرحلة الجري في سبيل الله، لا بد من زلزلة تحدث في حياته، زلزلة في الموازين –قلنا سورة الزلزلة بدأت بزلزلة وانتهت بالموازين– فلابد من زلزلة تحدث في حياة الإنسان، في قيمه ومبادئه حتى يتعامل ولو بالذرات في نصرة دين الله –سبحانه وتعالى–.

"وَالْعَادِيَاتِ ضَبْحًا * فَالْمُورِيَاتِ قَدْحًا * فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا"

وكأنهم ظلوا يسيرون طوال الليل لغاية لما جه الصبح، مااستناش يريح ودخل على طول في الإغارة والقتال في سبيل الله، "صُبْحًا" وكان من عادة النبي –صلى الله عليه وسلم– أنه يغير في الصباح كما قوله –سبحانه وتعالى– وكان يقوله النبي –صلى الله عليه وسلم– أيضًا: "فَسَاءَ صَبَاحُ الْمُنذَرِينَ" الصافات:١٧٧، وكان النبي –صلى الله عليه وسلم– يأتي بالليل وينتظر الصباح، فإذا سمع أذان الفجر لم يُغر عليهم، وإذا لم يسمع أذان الفجر أغار عليهم، فكان القتال غالبًا يكون في الصباح.



"فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا" إذًا اكتشفنا في الآية الثالثة إن المشهد الصوتي ده كان صوت خيل بتجري، وإن المشهد الضوئي ده كان شرارة في الظلام، هذه كانت خيل يركبها المجاهدون في سبيل الله يقصدون الإغارة على أعداء الله –عز وجل–.

"فَالْمُغِيرَاتِ صُبْحًا" بدأ بعد ما المشهد بقى صباح والدنيا منورة، بدأ المشهد تاني يعلوه نوع من الضباب.

"فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا" أثار الشيء؛ يعني حرك الشيء، حركه وخلى الشيء الراكد يتحرك، النقع هو التراب، فَأَثَرْنَ أي الخيل التي كانت تعدو.

"بِهِ": قيل؛ بمكان الإغارة، الْمُغِيرَاتِ يعني وصلوا لمكان العدو، "فَأَثَرْنَ بِهِ" أي أثارت الخيل الغبار في مكان الأعداء، ومعنى إن الخيل أثارت الغبار في مكان الأعداء؛ إنهم اقتحموا، يعني مش هم جم ووقفوا، لأن ده جم واقتحموا، يعني مش المجاهدون في سبيل الله لما وصلوا؛ توقفوا، لأ، دخلوا لغاية جوه وكر وفر، فصعد الغبار في مكان الأعداء. أو "فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا" أن الخيل أثارت الغبار به؛ أي بسبب العَدْو.

يبقى الهاء دي إما على المكان أو على العَدْو، وتختلف على حسب الباء: سواء باء السببية أو باء المكان، لو باء السببية أي أن بسبب العَدْو، لو باء المكان أي أن الخيل دي بهذا المكان.

"فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا" مسألة إثارة التراب تحس إنه مشهد –لو احنا بنحكي عن الحرب مش بنمارسها طبعًا– مشهد جمالي لكن طبعًا لو بتمارسها مش هيبقى مشهد جمالي، لكن أن هذه الآيات تكون آية في سبيل الله أكيد لها غرض.

فمسألة إثارة التراب بيدل على المجهود اللي بيبذله المجاهد وأيضًا في استمرار مسألة العوائق اللي بتقابل المجاهد في سبيل الله. فاللي عايز يجاهد من غير ما يُصاب بالتراب، اللي عايز يعمل للدين من غير ما يُصاب بأي شيء، ده واهم.

لذلك لما المنافقين قالوا احنا عايزين نجاهد، قالوا إيه؟ "لَا تَنفِرُوا فِي الْحَرِّ" التوبة:٨١، قالوا احنا عندنا استعداد نقاتل ولكن نقاتل في جو مكيف، ما يبقاش حر، نستنى يوم ظريف لطيف تكون الدنيا لا ساقعة أوي ولا حر جدًا؛ بيشترطوا شروط للجهاد، "لَوْ كَانَ عَرَضًا قَرِيبًا وَسَفَرًا قَاصِدًا لَّاتَّبَعُوكَ" التوبة:٤٢، ربنا بيقول كانوا هييجوا معاك، معقول؟ لكن بشرط إن يكون مكان قريب وفيه غنيمة، فحطوا ثلاثة شروط في سورة التوبة للقتال:

١. مكان قريب
٢. فيه غنيمة
٣. ما يكونش الجو حر

كثير من الناس ممكن يقول لك أنا ممكن اشتغل للدين لكن بشروط؛ عهد وميثاق ألا ينالني أي أذى، ولو ذرة تراب، في حين إن دايماً بييجي تعبير في السنة "اغبرّت القدم في سبيل الله"، "أشعث رأسه، مُغبرّة قدماه".

ليه التعبيرات دي تيجي سواء في السنة أو في القرآن هنا "فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا" وتعبير الأشعث المغبر؟

هذا ما يلاقيه المجاهد من مشقة أثناء البذل، وقال الراهب للغلام: "إنك ستُبتلى"، معرفة العوائق اللي سيقابلها الإنسان في الطريق مهمة جدًا حتى يتخطاها، كما قلنا هذه الخيل قابلت كثيرًا من العوائق ولكنها لم تتوقف.

فإذاً الذي يريد أن يسير في هذه المسيرة لنصرة دين الله –عز وجل– هذا واهم، لا بد أن يقابله العوائق، بل عدم وجود عوائق في السير ده دليل إن ممكن يكون الطريق غلط. "حُفَّتِ الجَنَّةُ بالمَكارِهِ"[٢].

فيقول الله –عز وجل–: "فَأَثَرْنَ بِهِ نَقْعًا" مشهد التراب المتصاعد مع الكر، والفر، والبذل، والمجهود، وصعود التراب، ثم يقول الله –عز وجل–: "فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا" أي أن الخيل توسطت بالمجاهدين جموع الأعداء. "فَوَسَطْنَ": أي توسطت الخيل بالمجاهدين جموع الأعداء.

[٢] صحيح مسلم



"فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا" أي مش بس قعد كر وفر على الأطراف، شوف الراجل من ساعة ما كان راكب على الخيل وبينطلق ويعدو فضل يجري، يجري، يجري، سواء الخيل تغيّر مجرى النّفس فيظهر الضبح، سواء الشرارة وييجي القدح، سواء الصبح طلع، سواء التراب ظهر، هو مستمر لغاية لما وصل لأقصى نقطة للوصول وسط الجموع مش على الأطراف.

لذلك كانوا بيقولوا: الذي لا يقاتل إلا على الأطراف ده أحد تعبيرات السلف في تفسير قول الله –عز وجل–: "وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ" الحج:١١ قيل: أي لا يقاتل إلا في الطرف!

"وَمِنَ النَّاسِ مَن يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَىٰ حَرْفٍ فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ اطْمَأَنَّ به" الحج:١١، أي إن أصاب الجيشُ النصرَ والغنيمةَ اطمئن ودخل، لو اهزموا يرجع! يبقى دايماً عامل حسابه؛ واقف في الطرف.

هؤلاء دخلوا إلى المنتصف وده دليل قوة الإيمان، أنه موقن بهذه الصفقة، "إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَىٰ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُم بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ" التوبة:١١١، هو موقن بذلك، المنافق لا يوقن بهذه الصفقة فيقف دائماً على الأطراف.

قال الله –عز وجل–: "فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا" توسطوا الجمع، مش كانوا رايحين لخمسة ستة، توسطوا الجمع، ومعنى كده إن الأعداء جمعوا لهم "سَيُهْزَمُ الْجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ" القمر:٤٥، إذًا الأعداء جمعوا لهم فهذه مش مجرد معركة عادية، ده كان فيه جموع من الأعداء ينتظروهم، فاتجه هذا المقاتل، هذا المجاهد انتقل إلى أن وصل إلى المنتصف، أكثر مكان يغيظ فيه الأعداء، أكتر مكن خطر، اختار أخطر مكان ليقف فيه.

لما وصل في المنتصف، إيه اللي حصل؟ خلصت الآيات.

"إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" قيل ده جواب القسم، والكلام عن واقع تاني خالص، واحد قاعد في بيته كنود، وحتى سياق الآيات تغير، بعد ما كان الجري والسرعة؛ "إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ".

قبل ما نتكلم عن الإنسان الكنود طيب إيه اللي حصل؟ مات؟ استشهد؟ انتصر؟ لم يذكر الله –عز وجل– لنا ذلك، ليه؟

مش مهم النتيجة إيه؟ المهم إنه استطاع أن يصل إلى هذه النقطة، أياً كانت النتيجة هو فائز في كلا الحالتين، المهم إنه يستطيع إنه يظل يعدو حتى يصل إلى هذه المنطقة.

لو استطعت إنك تكون دائماً في الخمس آيات دول، إن في كل حالة من حالاتك انت تجري بكل ما تستطيع لتنصر دين الله –عز وجل– أياً كانت النتيجة! انتصر، اتغلب، أُسر، قُتل، أياً كانت النتيجة مش مهم! "وَمَن يُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَيُقْتَلْ أَوْ يَغْلِبْ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا" النساء:٧٤، بدأ بيُقْتَل الأول حتى لو قُتِل مش مشكلة أو انتصر؛ القضية ليست في النتيجة، القضية في البذل، إنه استطاع أن يأخذ القرار ليصل إلى هذه المنطقة "فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا".

ثم يقول الله –عز وجل– كجواب القسم: "إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" تأكيد إن فيه ناس مالهاش علاقة بالجماعة دول خالص، العاديات، والجري، والنقع، والبذل، هو قاعد كنود. روي في أثر وإن كان فيه ضعف "الذي يضرب عبده ويمنع رفده ويأكل وحده"

قيل "الأرض الكنود": أرض سبخة؛ مهما تعطيها من ماء لا تخرج لك زرع.

وقيل "الكنود": الذي يعد المصائب وينسى النعم.

الشاهد أن معاني الكنود كلها تدور حول الجحود، وكفران النعمة، وعدم البذل. يقول لك الأرض الشكور: هي الأرض اللي تديها شوية مية تطلع زرع كتير، الأرض الكنود اللي مهما تديها ماتطلعش حاجة.

فكذلك فيه ناس كده؛ مهما تكلمها ومهما ربنا يديها من نعم مايعملش حاجة للدين، لا يشكر أي نعمة، لا يُخرج عاقبة أي نعمة أبدًا في حياته.

"إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" يعني معنى كده إن عنده نِعم، التاني كان عنده خيل سخرها في سبيل الله، ده عنده نِعم لكن اكتنزها لنفسه، صاحب العاديات فيه عوائق كتير استطاع بفضل من الله أن يتغلب عليها، ده استسلم للعوائق، وهنشوف إيه أخطر عائق خلاه يقعد في بيته، خلاه لا يُجاهد مع العاديات، ما الذي منع هذا الكنود ألا يخرج مع العاديات؟

"إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" جت بصيغة التأكيد وجت على عموم الإنسان، وبعضهم قال الكافر، أو الفاجر، أو العموم إن دي صفة غالبة في الإنسان إلا أن يغالب الإنسان نفسه ويزكي نفسه.

"لِرَبِّهِ" كأن الإنسان كنود بالذات مع ربنا، بخيل مع ربنا تحديدًا! مع غالب الناس –يعني ممكن مع صاحبه يبقى جدع، وييجي عند الدين مايبقاش جدع! أو إنه يضطر يرد للناس حاجات معينة لكن مع ربنا لا يشكر النعم! أو إن الإنسان ده قوي ومجتهد زي قول الله –عز وجل–: "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ"، هييجي في معاني شديد أنه قوي، بيبذل لكن في المال، لكن يجي عند الدين معرفش! يعني تلاقي واحد ذكي جداً وقوي وبيسعى ومتحرك وفهلوي في الدنيا، تيجي تكلمه في الدين يقول لك: "والله أنا معرفش حاجة! ومعرفش أروح فين؟" طب مابتسألش ليه؟ مابتتحركش ليه زي مااتحركت في الدنيا؟ "أصل والله ماحد قالي، معرفش، الطريق صعب، والناس مختلفة، وأنا معرفش أتبع مين؟!" انت في الدنيا جاهدت عشان توصل للمكان ده!

"إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ" تحديداً، وكلمة "لِرَبِّهِ" أي الذي رباه بنعمه، يعني ده شكر ربنا إن اداك كل النعم دي، مفيش شكر للنعم دي؟!

"إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ" "لِرَبِّهِ" هو؛ حتى مش للرب، يعني مش الذي أنعم على العالمين، الذي أنعم عليك تحديداً.

"إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" لا يشكر نعمه، أناني، جَحود، قاعد يتنعم بالنعم ولا يبذلها في نصرة دين الله –عز وجل–.

"إِنَّ الْإِنسَانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ" وقلنا الكنود؛ الجحود، الأنانية، الطمع، البخل.

"وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ"، "وَإِنَّهُ" غالب المفسرين: الهاء؛ مين اللي شهيد؟ الإنسان ده، أي أن الإنسان شهيد على نفسه في الدنيا وفي الآخرة، في الآخرة إزاي؟ الجوارح ستنطق، ييجي يقول: "والله ما كنت أعرف" جوارحه ترد عليه: "كنت تعرف"، "والله ما كنت أقدر" "لو نَعْلَمُ قِتَالًا لَّاتَّبَعْنَاكُمْ" آل عمران:١٦٧، إيده ورجله ترد عليه: "لأ، كنا نقدر نقاتل"، الجوارح ستشهد عليه لأنه يرد أن يكذب، أنا ماكنتش أعرف، أنا ماكنتش أقدر، لأن كنت تعرف وكنت تقدر.

وفي الدنيا "وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ" بينه وبين نفسه لما بيقعد بيشعر بنوع من أنواع العتاب، لكن هو سريعًا ما يحاول الهروب من هذا العتاب التفسي، كتير مننا لما بيغلط ممكن لما بيقعد مع نفسه، نفسه تلومه، ضميره يبدأ يصحى، فيه ناس أول ما ضميرهم يصحى؛ يموته! اسكت! مش عايز اسمع، واعظ الله في قلب كل مسلم، مش عايز يسمع، يريد أن يقتل النفس اللوامة.

"لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ * وَلَا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوَّامَةِ" القيامة١:٢، شدة الإيمان بيوم القيامة يزيد لوم النفس اللوامة، شدة إنكار يوم القيامة تقتل النفس اللوامة، لذلك ربنا قال: أكتر واحد عايز يموت النفس اللوامة مين؟ "بَلْ يُرِيدُ الْإِنسَانُ لِيَفْجُرَ" القيامة:٥، الفاجر، الفجور ده حاجة انفجرت وانطلقت، فمش عايز حد يلومه ولا نفسه تلومه. فربنا بيؤكد أنه يعلم أن هذه النعم من الله، ويعلم أن عليه واجب تجاه هذه النعم، ويشهد على نفسه بذلك.

أو "وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ" من معانيها أن الناس يشهدون على بعضهم البعض. بعض المفسرين قال معنى جميل أوي، قال في قول النبي –صلى الله عليه وسلم-: "يبصرُ أحدُكمُ القذاةَ في عينِ أخيهِ وينسى الجذْعَ في عينِ نفسِهِ"[٣]، بيقول لك لما بيجي الإنسان ينتقد واحد، تلاقيه بيعرف ينقي القذاة؛ الحاجة الصغيرة خالص، طيب ماانت بتعرف تنتقد أهه، طيب ما تنتقد نفسك!! يعني لو انت خليت واحد ينتقد شخص تاني مقصر في الطاعات، يقول لك آه ده مابيعملش كذا ومابيعملش كذا، طيب وانت؟ لأ، أصل أنا لي ظروف، أصل أنا مختلف، مايركزش في نفسه، هو يركز في أخطاء الآخرين، فقالوا ده من معاني: "وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ".

وفيه قول تاني خالص؛ "وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ" أي أن الله –عز وجل– شهيد عليه، يعني في لحظة الكنود، فكأن السورة جابت خمس آيات لواحد منطلق مجاهد ثم ذكرت لنا الصورة المعاكسة؛ البخيل اللي عمّال يجمع مال، والجحود اللي مش عايز يطلع ولا نعمة. يعني ربنا خلاه يعرف يتكلم، ما انت بتتكلم في الدنيا، طيب أتكلم وانصر الدين، لأ. طيب اداله فلوس، طلع للدين، لأ. طيب اداك أدوات استعملها، اداك عربية استعملها لنصرة الدين، لأ. طيب اداك عقل تفكر به استعمله لنصرة الدين، لأ.

بخيل بكل الأدوات التي ربنا ادهاله، كنود.

فربنا بيقول لك السبب في ده إيه: "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" العاديات:٨، إن أكبر مانع هو المانع النفسي مش المانع الخارجي، وإنك انت لما بتتخلص من الموانع والعوائق النفسية غالباً لا تقف أمامك العوائق الخارجية، بنقول غالبًا مش دائمًا.

البخل بالذات وباللذات

أخطر مانع هو "البخل بالذات وباللذات": بخل التضحية بالذات أو باللذات، بالذات يعني بنفسك أو بلذاتك، دي أخطر موانع تمنع الإنسان من الانطلاق، لذلك ربنا بيقول: "وَالْعَادِيَاتِ" الخيل المنطلقة، إنك انت خايف، لذلك النبي –صلى الله عليه وسلم– يقول: "اللَّهُمَّ إنِّي أعُوذُ بكَ مِنَ الهَمِّ والحَزَنِ، والعَجْزِ والكَسَلِ، والجُبْنِ والبُخْلِ" كلها حاجات نفسية، آخر حاجة "وضَلَعِ الدَّيْنِ، وغَلَبَةِ الرِّجالِ"[٤]، إن حد عليه فلوس أو ناس تقهرني، لكن الستة الأوائل كلها موانع نفسية.

لذلك آخر الجزء الثاني في سورة البقرة بعد ما ربنا ذكر شرائع الهدي، وقبل كده الجزء الأول ذكر أسباب الضلال التي ضل بها بنو إسرائيل وإزاي ضلوا في الابتعاد، آخر حاجة ربنا ذكر قصة كان متوقع إن قصة طالوت وجالوت تُذكر من ضمن القصص، قصة سيدنا آدم، قصة بني إسرائيل، قصة سيدنا إبراهيم، لأ، ذُكرت في الآخر!

كأن أهم أسباب موات الأمم، تُفاجأ إن الربع الأخير بدأ بقول الله –عز وجل–: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ" البقرة:٢٤٣، هو ده تشخيص كل أمة منهزمة، وبعد كده "مَّن ذَا الَّذِي يُقْرِضُ اللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا" "وَاللَّهُ يَقْبِضُ وَيَبْسُطُ" البقرة:٢٤٥، مسألة الخوف علي النفس والخوف على المال، لذلك قبل ما ربنا يذكر قصة طالوت وجالوت، ذكر إن دول أهم عقيدتين لازم يتصلحوا في أي أمة منهزمة، ولا يستبد مُستبد على المستضعفين إلا باستغلال هذه المشاعر؛ الخوف علي النفس والخوف على المال، ولا تنهض أمة إلا بكسر هذه المشاعر، يعني دايمًا يقول لك: أصل فيه هيبة، الثورات لا تحدث إلا بسقوط الهيبة، ولا تُقهر الثورات إلا بإعادة الهيبة، وهذه الهيبة فين؟ هي في النفوس. هي كلمة هيبة؛ الخوف.

فلذلك ربنا ذكر أهم أسباب الأمم المنهزمة؛ كلمة: "حَذَرَ الْمَوْتِ".

---

[٣] صحيح ابن حبان

[٤] صحيح البخاري



وده التعبير النبوي المُعجز الذي النبي –صلى الله عليه وسلم– قاله أسباب هزيمة الأمة الإسلامية بالرغم من عددها الكبير إيه: "وليَقذِفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهَنَ. فقال قائلٌ: يا رسولَ اللهِ، وما الوَهَنُ؟ قال: حُبُّ الدُّنيا، وكراهيةُ الموتِ"[٥]. "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ" البقرة:٢٤٣، ألوف: ده جمع كثرة، ألوف لكن خايفين.

كما في حديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم– عندما قال: "ومِن قِلَّةٍ نحنُ يومئذٍ؟ قال: بل أنتم يومئذٍ كثيرٌ، ولكنَّكم غُثاءٌ كغُثاءِ السَّيْلِ، ولَيَنْزِعنَّ اللهُ من صدورِ عدُوِّكم المهابةَ منكم، وليَقذِفنَّ اللهُ في قلوبِكم الوَهَنَ"، لكن المشكلة في الوهن، فمسألة حب الخير الشديد ده، أغلال تمنعك إنك تبذل.

"مَا لَكُمْ إِذَا قِيلَ لَكُمُ انفِرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ اثَّاقَلْتُمْ إِلَى الْأَرْضِ الله" التوبة:٣٨، ده مشهد إنسان بيحاول يقوم لكن فيه أغلال بتشده للأرض، شفت مشهد –مع الفارق في التمثيل– اللي عايز يقوم يصلي قيام أو الفجر ويقوم من على السرير وأغلال البطانية والدفا بتشده، لذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم–: "يَعْقِدُ الشَّيْطَانُ عَلَى قَافِيَةِ رَأْسِ أَحَدِكُمْ إِذَا هو نَامَ ثَلَاثَ عُقَدٍ" هذه المراحل عشان تقوم لازم تكسر عقد كثير، فيه عوائق زي ماقلنا عائق النفس والقدح؛ عوائق بتمر بيها، فَإِنِ اسْتَيْقَظَ فَذَكَرَ اللَّهَ، انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ ، فيه ناس بتفك أول عقدة وبعدين ترجع تنام، لازم تكمل، زي ماقلنا "العاديات... فالموريات...فالمغيرات"، لازم تكمل عشان تحل كل العقد.

"فإنْ تَوَضَّأَ انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فإنْ صَلَّى انْحَلَّتْ عُقْدَةٌ، فأصْبَحَ نَشِيطًا طَيِّبَ النَّفْسِ وإلَّا أَصْبَحَ خَبِيثَ النَّفْسِ كَسْلَانَ"[٦]. فيه واحد بيقوم ويذكر ربنا ويرجع ينام، فيه واحد بيقوم ويتوضأ وبعدين يرجع على السرير طيب أريح شوية، لسه ع الفجر قد إيه؟ وبعدين يصحوه ع الضهر. كان ناوي يصلي الفجر، ينام لغاية الضهر. لإنك لازم تستمر في حل كل العقد، في كسر كل العوائق، في اقتحام كل العقبات.

فالقضية كلها في مسألة "لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" سيطرت. (الخير): أي المال الكثير، "إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ" البقرة:١٨٠ لذلك قالوا اللي يوصي لازم يبقى عنده مال كثير، وجه التعبير القرآني إِنْ تَرَكَ خَيْرًا أي المال الكثير.

طبعاً مسألة الخير هنا فيها كلام كثير. والشديد حتى بعضهم قال: الشديد هنا بمعنى بخيل، طيب تفسير الآية إيه؟ وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ أي وإنه بسبب حبه للمال؛ شديد أي بخيل. قالوا يعني إيه شديد تيجي بمعنى بخيل؟ شديد قالوا دي فَعيل ممكن تيجي بمعنى مفعول.

مثلاً: جريح معناها أصلًا؛ مجروح، رَجيم معناها أصلًا؛ مرجوم. فقالوا: شديد معناها إيه؟ مشدود كأن فيه أغلال شداه، فالبخيل –وده تعبير نبوي مشهور في حديث في الصحيح– "كأن البخيل عليه جُبة من حديد"، أي كأنه لابس قميص حديد، يجي يحاول يطلع إيده عشان يُنفق؛ مش قادر، فيه حديد مكلبشه، وكنت ذكرت شرح الحديث ده بالتفصيل ومحاولة تغيير أخلاق الإنسان في شرح سورة الحجرات لمن أراد العودة إليها.

الشاهد قالوا: "وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ" إنه متكلبش، أو شديد قالوا مشدود أو هو اللي قعد يشد على نفسه؛ قيل شديد: أي يشد كل سُرة، يعني يجيب كل الفلوس ويربطها وممنوع تتفتح، عمّال يحوش. "الَّذِي جَمَعَ مَالا وَعَدَّدَهُ" الهمزة:٢، عمّال يعد مرة واتنين ويقفلهم، هذه المشاعر حينما تسيطر على الإنسان لا يستطيع الخروج، لا يستطيع البذل أبداً، لذلك أخطر الموانع هي الموانع النفسية، ولا تُهزم الأمم إلا بالموانع النفسية، ولا تفيق الأمم إلا بكسر هذه الموانع النفسية، إذًا لا بد من إصلاح عقيدتين مهمتين للنهوض لأي لأمة اللي بدأ بهما الربع الأخير من الجزء الثاني اللي هي: "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ".

---

٥ تخريج سنن أبي داود

٦ صحيح البخاري



عقيدة؛ الله يحي ويميت، عقيدة؛ الله يقبض ويبسط، إذا تمكّنت هذه العقائد من أي أمة مسلمة؛ نهضت، وثارت، وقامت، لذلك العجيب أنك تجد إن بداية الربع بدأت بمشهد ناس خايفة من الموت "أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ"، وبداية الإصلاح بدأت بناس بتجري ناحية الموت "أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ مِن بَنِي إِسْرَائِيلَ مِن بَعْدِ مُوسَىٰ إِذْ قَالُوا لِنَبِيٍّ لَّهُمُ ابْعَثْ لَنَا مَلِكًا نُّقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ" البقرة:٢٤٦.

هناك أمة بتجري من القتال وهنا أمة بتجري على القتال، فبداية الإصلاح والنهوض تكون بكسر هذه الحواجز النفسية.

لذلك النموذجين دول اللي جم عكس بعض في السورة ذكرهم النبي –صلى الله عليه وسلم– في حديث واحد، لكن هنا السورة بدأت بالنموذج المنطلق وبعد كده ختمت بالنموذج القاعد، النبي –صلى الله عليه وسلم– بدأ بالنموذج القاعد فقال –صلى الله عليه وسلم– كما في الصحيح البخاري وغيره: "تَعِسَ عبدُ الدِّينَارِ، وَعَبْدُ الدِّرْهَمِ، وَعَبْدُ الخَمِيصَةِ، إنْ أُعْطِيَ رَضِيَ، وإنْ لَمْ يُعْطَ سَخِطَ، تَعِسَ وَانْتَكَسَ، وإذَا شِيكَ فلا انْتَقَشَ" وبعد كده النبي –صلى الله عليه وسلم– بيتكلم فجأة ده في حديث واحد: "طُوبَى لِعَبْدٍ آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ في سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ، إنْ كانَ في الحِرَاسَةِ، كانَ في الحِرَاسَةِ، وإنْ كانَ في السَّاقَةِ كانَ في السَّاقَةِ، إنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ له، وإنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ"[٧].

نموذجين عكس بعض، نموذج الأسير اللي النبي –صلى الله عليه وسلم– سماه هنا العبد، ونموذج الحر المنطلق؛ برضه نفس التعبير آخذ بالعنان مش لسه هيركب الفرس، لأ، ده هو ماسك عنان فرسه ماشي في سبيل الله، لا يأبه بتغير في شكله، ولا في ملابسه، التاني أي تغير في ديناره، ودرهمه، وملابسه، وشكله يغضب! (وإذا شيكَ) إن الشوكة تؤثر فيه، (فلا انتقش) ولا تخرج منه. قيل إنه دعاء من النبي –صلى الله عليه وسلم– وقيل إنه وصف لحاله. إن المشكلة الصغيرة تخليه منتكس وقاعد، والشوكة الواحدة تؤثر فيه، المصيبة الصغيرة تؤثر فيه، التاني لا يعوقه عائق، ولا تحدُّه الحدود، منطلقٌ حر "آخِذٍ بعِنَانِ فَرَسِهِ في سَبِيلِ اللَّهِ، أَشْعَثَ رَأْسُهُ، مُغْبَرَّةٍ قَدَمَاهُ".

لذلك لمّا قلنا "فَوَسَطْنَ بِهِ جَمْعًا" أيًا كانت النتيجة، برضه أيًا كان هيروح فين، "إنْ كانَ في الحِرَاسَةِ" أي إن أُمِرَ به في الحراسة، "كانَ في الحِرَاسَةِ" كان بكله في الحراسة، يعني إن كان ترتيبًا في الحراسة كان هو بكله في الحراسة، يعني لما بيشتغل بيشتغل بجد، وإن كان في الساقة كان في الساقة.

"إنِ اسْتَأْذَنَ لَمْ يُؤْذَنْ له، وإنْ شَفَعَ لَمْ يُشَفَّعْ" كمان مالوش وجاهة دنيوية، حتى منصبه الديني ده اللي هو رفيع عند الله –عز وجل– الناس مش معتبراه، فهو مجهول عند الناس، معروف عند الله وملائكته، يحبه الله –عز وجل– وتحبه الملائكة، وكم من مجاهدٍ لا يعلمه الناس ويعلمه الله –عز وجل–، وكم من صادق لا يعلمه الناس والله –عز وجل– يعلمه، ولذلك قال عمر بن الخطاب رضي الله عنه: "وما يضُرُّهم أنّ عمرُ لا يعرفهم لكنَّ اللهَ يعرِفُهم" الله –عز وجل– يعلمهم –سبحانه وتعالى–.

المنطلق والكنود

إذاً فهذه السورة تتكلم عن نموذجين من الناس:

١– نموذج المنطلق، اللي بدأ بالحركة، مابدأش لسه بالاستعداد، النموذج اللي بيتحرك، الذي يريد أن ينصر دين الله –عز وجل–.

٢– ثم النموذج التاني؛ نموذج الكنود الجحود البخيل الأناني، الذي لا يبذل أي نعمة لنصرة دين الله –عز وجل–، وقلنا أخطر حاجة ذُكِرت هنا المانع النفسي، سيطرة حب المال عليه، لذلك حب المال الكثير، حب الدنيا، ده زي سرطان يكبر جوه الإنسان لغاية لما يسيطر على

[٧] صحيح البخاري



كل مشاعره، يخليه مايعرفش يفكر في أي حاجة ولا يحسب أي حسابات إلا من خلالها، ده معنى ضخم جدًا، لذلك طول المُكث في وسط الدنيا ينمي هذا السرطان، لذلك لازم كل شوية تخرج.

لذلك قال النبي –صلى الله عليه وسلم-: "مَنْ مَاتَ وَلَمْ يَغْزُ وَلَمْ يُحَدِّثْ نَفْسَهُ بِهِ؛ –ده واحد رضخ تمامًا، فقال النبي صلى الله عليه وسلم– مَاتَ عَلَى شُعْبَةٍ مِنْ نِفَاقٍ"[8]. لأنه استسلم تمامًا، لا بيروح بنفسه ولا حتى بيفكر إن الأوضاع دي تتغير.

عارفين فيه بيئات كده يقول لك دي بيئة رطبة منتنة ينبت فيها الفطريات الضارة، فيه بكتيريا بتنبت في بيئات معينة، فالنفاق ينبت في هذه الأوساط، أوساط الدنيا المستمرة دائمًا دي، دي أخطر الأوساط التي ينبت فيها النفاق.

إذاً السورة ذكرت صنفين من الناس، المُقدِم الذي لا تعوقه العوائق ولا تحده الحدود، والكنود الذي يبخل ولو بنعمة واحدة من نعم الله –عز وجل–، ولا يشكر الله –عز وجل–، ولا يبذل أي شيء لنصرة دين الله –عز وجل–.

البداية بمسألة العاديات والذهاب إلى الأعداء، فيه مسألة برضه فرعية، وهي مسألة أن كثير من الناس –المتأخرين طبعًا– إنه بينكر جهاد الطلب، لأ، طبعًا فيه حاجة اسمها جهاد الطلب؛ الذهاب إلى الأعداء لنشر دين الله –عز وجل–، وإن لا بد من البذل والتحرك.

يعني السورة بتتحرك "وَالْعَادِيَاتِ" لا بد من الحركة لنشر دين الله –عز وجل– وجهاد من صدوا عن سبيل الله –سبحانه وتعالى–.

أيضاً احنا كنا قلنا مسألة إن المدح هنا في السورة لم يكن للخيل لمجرد أنها خيل، ولكن للخيل لأنها تجاهد في سبيل الله.

فيه حديث جميل جداً للنبي –صلى الله عليه وسلم– أيضًا في الصحيحين يبين لنا إن حسب معاملتك مع الدنيا على حسب الثواب والإثم اللي بتاخده، فيقول النبي –صلى الله عليه وسلم-: "الخَيْلُ لِثَلاثَةٍ: لِرَجُلٍ أجْرٌ، ولِرَجُلٍ سِتْرٌ، وعلَى رَجُلٍ وِزْرٌ"[9]

١– فأمَّا الذي له أجْرٌ فَرَجُلٌ رَبَطَها في سَبيلِ اللَّهِ، فالرجل يتخذها في سبيل الله ويعدها له –أي لسبيل الله– فلا تُغيب شيئا في بطونها –يعني ماتاكلش أي أكلة– إلا كتب الله له أجرًا، يعني أي أكل طالما الخيل في سبيل الله، هو سايبها لسبيل الله، العربية دي لربنا يستعملها في سبيل الله، لا تُغيب العربية دي بنزين أو أي حاجة إلا وله أجر، فكذلك لا تُغيب في بطونها شيئًا إلا له أجر، ولو رعاها في مرج، لو سابها ترعى في مرعى معين، بالرغم إن مش هو اللي أكلها، ما أكلت من شيءٍ إلا كتب الله له بها أجر، ولو سقاها من نهرٍ كان له بكل قطرة تغيبها في بطونها أجر. الراوي بيقول: بل حتى ذكر النبي –صلى الله عليه وسلم– الأجر في أبوالها وأرواثها، تخيل؟! يعني حتى اللي بيخرج منها! (ولو استنت شرفاً أو شرفين) يعني لو طلعت مكان كتب له بكل خطوة تخطوها أجر.

شوف النبي –صلى الله عليه وسلم– بيتكلم عن تفاصيل، كان ممكن يقول: وكل حاجة بتعملها ياخد أجر، لأ، اتكلم عن تفاصيل الخيل التي كانت في سبيل الله، اعرف أن ربنا –سبحانه وتعالى– لن تُظلم نقيراً ولا قطميراً.

"لَخُلوفُ فَمِ الصَّائمِ أطيَبُ عِندَ اللهِ مِن ريحِ المِسكِ"[10] حتى الرائحة! الغبار اللي في سبيل الله، الدمعة اللي بتنزل لا ينساها الله لك أبدًا وتُكتب لك وتُرفع بها عند الله –سبحانه وتعالى–، تُعامل معاملة في غاية الدقة.

٢– ثم يقول النبي –صلى الله عليه وسلم-: وأما الذي هي له ستر، فالرجل يتخذها تكرماً وتجملاً ولا ينسى حق ظهورها وبطونها في عسرها ويسرها، يعني بيتخذها إشباع احتياجاته العادية، وأحياناً بيؤدي حقها إنه بيشكر نعمة ربه –سبحانه وتعالى– لو عليها زكاة، أو يساعد الناس، أو يرفع عليها أحد أو غير ذلك.

---

٨ صحيح مسلم

٩ صحيح البخاري

١٠ صحيح مسلم



٣- النوع الثالث (وأما الذي عليه وزر، الذي يتخذها أشراً وبطراً وبذخاً ورئاء الناس، فذاك الذي هي عليه وزر).

يبقى الاستعمال في الدنيا مبني على تلات حاجات:

- إما إنك بتهتم ببناء الدنيا لغاية أساسية عشان نصرة الإسلام.
- أو مجرد إشباع احتياجاتك الإنسانية. يعني واحد عايز يطلع دكتور، عشان هو عايز يطلع دكتور، ده حرام؟ لأ مش حرام، ده مباح، عشان تنال الأجر في ده لازم يبقى لك نية خدمة الناس، وهذه النية لا بد أن تكون مصدقة بعمل مش مجرد نية.
- اللي عايز عشان يفتخر على الناس ويتكبر على الناس، ده وزر.

إذًا إما تكون لرجل أجر، أو لرجل ستر، أو لرجل وزر -والعياذ بالله-.

نعود تاني لسورة العاديات، قلنا هما صنفين من الناس، فقال الله -عز وجل- بعد ذلك، بعدما أخبرنا أن المانع الرئيسي من الانطلاق وإن العائق الأهم هو "لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ".

سبحان الله سورة العاديات جت بين سورتين؛ سورة الزلزلة وسورة القارعة، وفي السورتين حقارة الدنيا وإن لازم زلزلة، هذا الحب يحتاج إلى زلزلة وقرع حتى يخرج من القلوب، فجاءت العاديات بعد الزلزلة وقبل القارعة، جاءت بين السورتين.

زي بالظبط ما سورة العصر اللي اتكلمت عن الخسران المبين للإنسان، جاءت بين سورتين التكاثر والهمزة، ودول أكتر ناس خسرانين، التكاثر انشغل بالناس مكاثراً، والهمزة انشغل بالناس مستهزأً فأصبح خاسرًا: "إِنَّ الْإِنسَانَ لَفِي خُسْرٍ" العصر:٢.

فكذلك جاءت سورة العاديات بين سورتين، ولن يخرج حب المال إلا بالزلزلة وبالقارعة، فقال الله -عز وجل- لذلك في ختام السورة إن الإنسان يفوق، الكنود ده يتهز كده عشان يفوق، فجابت له صورته وهو بيتهز وهو ميت: "أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ"، مشهد الأرض كلها صحراء تراب، وناس كتير مدفونة، ومشهد البعثرة، البعثرة دي حاجة مش مترتبة، تبقى حاجة مهملة كده متبعثرة، ولم يقل "أفلا يعلم إذا بعثر من في القبور" قال إيه؟ مَا، حاجة نكرة، كأنه غير عاقل، بعض المفسرين قال لأنه بيبقى ميت هنا فغير عاقل.

الشاهد الحياة الضخمة التي مارضيتش تضحّي عشانها، أصبحت في الآخر مجرد شيء نكرة مرمي في الأرض هتبعثر في يوم من الأيام، هي دي الحياة اللي انت مارضيتش تضحي عشانها؟ هي دي النهاية؟

"أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ" أخرتها في القبور، مهما اتسعت دنيا الإنسان هو آخره في وعاء، وعاؤه هيبقى مجرد قبر!

نهاية سعي الإنسان

يقول الله -عز وجل-: "أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ" المحصول: هو الحب اللي بيخرج من القشر بمعالجة معينة.

فسوف يُنزع ما في صدره ليُكشف، فكأن هنا حتى تخويف حتى للمجاهد، علامَ تجاهد؟ في سبيل الله؟ والا حمية وعصبية؟

"سُئِلَ رَسولُ اللهِ -صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ- عَنِ الرَّجُلِ يُقَاتِلُ شَجَاعَةً، وَيُقَاتِلُ حَمِيَّةً، وَيُقَاتِلُ رِيَاءً، أَيُّ ذلكَ في سَبيلِ اللهِ؟ فَقالَ رَسولُ اللهِ صَلَّى اللَّهُ عليه وَسَلَّمَ: مَن قَاتَلَ لِتَكُونَ كَلِمَةُ اللهِ هي العُلْيَا، فَهو في سَبيلِ اللَّهِ"[١١].

يبقى ده شرط، حتى اللي بيتحرك مسئول عن نيته، ونعوذ بالله، أول ثلاثة تسعر بهم النار منهم مجاهد؛ ومنفق، وقارئ، الحساب على النيات، الدقة حتى في النيات!

"أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِي الْقُبُورِ * وَحُصِّلَ مَا فِي الصُّدُورِ * إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ" بما عملوا قبل ذلك.

---

[١١] صحيح مسلم



اسم الله –عز وجل– الخبير: مش بس عليم، مش بس فيه إحاطة بالأعمال، لأ، خبير بالنوايا، لذلك بعضهم قال: الخبير أحياناً يأتي للخفايا وللنوايا، وما خفي من الأمور. ويأتي مع الحكيم لأن الحكمة تحتاج إلى معرفة ما وراءها، وفي الدنيا الإنسان مابيتسماش خبير إلا لما بيُجرب الأمور ويعلم خفاياها، يسمى خبيراً، ولله المثل الأعلى.

"إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ" خبير بنواياهم وبتحركاتهم، وبكل ذرة تراب جاءت على قدم المجاهد، وبكل نعمة أعرض عنها الكنود، الله –عز وجل– خبير بكل ذلك –سبحانه وتعالى–، فسوف يسألهم عن كل ذلك ويحاسبهم عن كل ذلك، ويجازي المحسن بإحسانه ويعاقب المسيء على إساءته. "إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌ".

إذاً نموذجين عكس بعض ذُكروا في السورة، وذُكروا في حديث النبي –صلى الله عليه وسلم–؛ عبد الدينار، والعبد الحر الأشعث رأسه المغبرة قدماه، الثاني عبد للدينار والدرهم الفلوس، والخميصة والخميلة؛ قيل: الطعام والملبس، وقيل: الأثاث، إن معانيها إن فيه واحد أسير للطقوس، أسير للعادات، خايف يعمل لدين الله –عز وجل– فيخسر هذه الأشياء، وفيه عبد تحرر وكسر كل هذه القيود، كما قالت امرأة عمران "إِذْ قَالَتِ امْرَأَتُ عِمْرَانَ رَبِّ إِنِّي نَذَرْتُ لَكَ مَا فِي بَطْنِي مُحَرَّرًا فَتَقَبَّلْ مِنِّي" آل عمران:٣٥، محررًا من كل قيد.

إذاً فالحرية الحقيقية التي يجب أن يطالب بها الإنسان هي أن يتحرر من كل القيود المانعة من عبودية الله –سبحانه وتعالى–، فكلما كان الإنسان عبدًا لله كلما كان أكثر حرية من القيود، وكلما ابتعد الإنسان عن عبودية الله كلما سقط في قيود أخرى، يكون عبداً لهواه، وعبد للشيطان، عبد لمستبِد، يكون عبد لآخرين، لأن الإنسان فُطِر إنه هيطيع، فإما أن يطيع الله –عز وجل–، أو يطيع هواه، أو يطيع الآخرين.

نسأل الله –عز وجل– أن نتحرر من هذه القيود وأن نكون من العاملين المجاهدين الذين ينصرون دين الله –عز وجل–.

نسأل الله –عز وجل– أن يستعملنا ولا يستبدلنا...

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا...

اللهم استعملنا ولا تستبدلنا...

اللهم اهدنا واهدِ بنا واجعلنا سببًا لمن اهتدى...

أقول قولي هذا وأستغفر الله لي ولكم...

سبحانك اللهم وبحمدك أشهد ألا إله إلا أنت أستغفرك وأتوب إليك.